٩١ - السيدة أم قيس بنت محصن

أخت السابق المتوكل:

اسمها أم قيس، والدها محصن بن حرثان بن قيس، وأخوها عُكَّاشَةُ بن مُحْصِنٍ، كان من أفاضل الصحابة، أسلم في مكة، وهاجر إلى المدينة مع أخته أم قيس، وقد شهد بدراً، وأظهر فيها بسالة فذَّةً، وكُسر سيفه أثناء القتال، فناوله النبي ﷺ عرجوناً فأصبح في يده سيفاً ماضي الحد، وكان يسميه «العون».

شهد عُكَّاشة أُحُداً والخندق وما بعدهما، وحصل من رسول الله ﷺ على مكرمة أخرى أجلَّ وأعظم من مكرمة «العون»، فقد حَدَّثَ عَمْرَانُ بْنُ مَيْسَرَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، حَدَّثَنَا حُصَيْنٌ قَالَ أَبو عَبْد الله: حَدَّثَنِي أَسِيدُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ حُصَيْنٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَقَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ قال: قَالَ النَّبِيُّ **«عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الأُمَّةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ النَّفَرُ، والنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الْعَشَرَةُ، والنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الْخَمْسَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ وَحْدَهُ، فَنَظَرْتُ فَإِذا سَوادٌ كَثِيرٌ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ هَؤُلاء أُمَّتِي؟ قال: لا، وَلَكِنْ انظُرْ إلى الأُفُقِ، فَنَظَرْتُ، فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قَالَ: هَؤُلاء أُمَّتُكَ، وَهؤُلاء سَبْعُونَ أَلْفَاً قُدَّامَهُمْ لا حِسَابَ عَلَيهِمْ، وَلاَ عَذَاب، قُلْتُ؛ وَلِمَ؟ قال: كَانُوا لا يَكْتَوُونَ، ولا يَسْتَرْقُون، وَلا يَتطَيَّرُونَ، وعلى ربِّهِمْ يَتوكَّلُون»**.

فَقَامَ إِلَيْهِ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ ﷺ فقَالَ: يَا رَسُول الله، ادْعُ الله أَنْ

يَجْعَلْني مِنْهُمْ قال: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ**»، ثُمَّ قَام إِلَيْهِ رَجُل آخَرُ قَالَ: ادْعُ الله أنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ قال: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**»[1].

لكن عُكَّاشة لم يُغيِّر شيئاً من عبادته التي دأب عليها، وجهاده الذي اعتاده، وإن كان قد أمِنَ من الحساب، ومُهِّدَ له طريق دخول الجنة حتى يوم وفاته، لقد كان مؤمناً واعياً أوفى بعهد الله، فأمَّنه الله.

وقد خرج مع خالد بن الوليد لقتال المرتدِّ طليحة الأسدي، فبعثه طليعةً مع ثابت بن أقرم فتلقَّاهما طليحة وأخوه سلمة فقتلاهما، وقتل عُكَّاشة قبل مصرعه حبال بن طليحة، وذهب عُكَّاشة إلى جنةٍ عرضها السموات والأرض أُعدَّت للمتَّقين.

إكرام النبي ﷺ لها ودعائه

ولم تشمل مكارم رسول الله ﷺ عُكَّاشة فقط بل شملت أخته أم قيس فكان يرشدها ويعلِّمها، روى الإمام مسلم في صحيحه عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الله، عَنْ أُمِّ قَيْسٍ بِنْتِ مِحْصَنٍ أَنَّهَا أَتَتْ رَسُول الله ﷺ بابْنٍ لَهَا لَمْ يَأْكُلْ الطَّعَامَ، فَوَضَعْتُهُ فِي حَجْرِهِ، فَبَالَ، قَالَ: فلَمْ يَزِدْ عَلى أَنْ نَضَحَ بِالْمَاءِ، وَقَالَ: فدَعَا بِماءٍ فَرَشَّهُ[2].

فكان ذلك تعليماً لها وللمسلمين، وتلطُّفاً بها وبطفلها، ولا غرو، فقد جاء ليتمِّم مكارم الأخلاق، وأُرسل رحمةً للعالمين، صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم إلى يوم الدين.

وربما حظيت أم قيس من رسول الله ﷺ بدعوةٍ مستجابةٍ، فقد أخرج

---

(1) رواه: البخاري/كتاب: الرقاق/باب: يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب/برقم: (6059).

(2) رواه: مسلم/كتاب: الطهارة/باب: حكم بول الطفل الصغير وكيفية غسله/برقم: (432).

النسائي في سننه عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مَوْلَى أُمِّ قَيْسٍ بِنْتِ مِحْصَنٍ، عَنْ أُمِّ قَيْسٍ قَالَتْ: تُوُفِّيَ ابْنِي فَجَزِعْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لِلَّذِي يَغْسِلُهُ: «لا تَغْسِلْ ابْنِي بِالْمَاءِ الْبَارِدِ فَتَقْتُلَهُ».

فَانْطَلَقَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ إلى رَسُول الله ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِهَا، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ الله، ثُمَّ قَالَ: «**مَا قَالَتْ؟! طَالَ عُمْرُهَا**» فَلا نَعْلَمُ امْرَأَةً عَمِرَتْ مَا عَمِرَتْ[1].

إنها دعوة مباركة طيِّبة صادرة عن الحبيب، أعظم حبيب، فكيف تخيب؟!!.

رحم الله عُكَّاشة، وأخته أم قيس، وجزاهما بما هو أهله.

(1) رواه: النسائي/كتاب: الجنائز/باب: غسل الميت بالحميم/برقم: (1859).

obeikandl.com